Al-Mukhtar Journal of Social Science 42 (2): 196-210, 2024
Doi: https://doi.org/10.54172/1yrdr233

Research Article

Open Access

جائحة كورونا وانعكاساتها على العملية التعليمية في الجزائر – محاولة نظرية–

ناجية ضيف[1]*، كرايس الجيلالي[2]

ناجيـــة ضـــيف[1]*: قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر2.

كـــرايس الجيلالـــي: قسم العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد، الجزائر

المستخلص: لم يكن العالم يتوقع أزمة صحية بهذا الحجم، رغم تفشي الوباء في الصين، وإطلاق الاطباء هناك لجملة من التحذيرات، لكن ظل العالم يتحرك بطريقة عادية، الى ان انتقل الوباء مباشرة الى مرحلة التفشي، وأدى الى خلق حالة من الضغط على القطاع الصحي، بسبب الازدياد المطرد لعدد الاصابات، وهنا بدأت كل دولة تسارع لتطبيق الإجراءات الوقائية، أهمها العزل الصحي، والتباعد الاجتماعي، وهذا ما اثر على مختلف القطاعات، الاقتصادية، التعليمة، السياحية، وأدى الى غلق دور العبادة. وهنا حاولت الدول ومن بينها الجزائر، التكيف مع الوضعية الوبائية، عن طريق خلق بدائل على مستوى التعليم، حيث تم تعطيل الدراسة في قطاع التربية والجامعة، وفي نفس الوقت اللجوء الى التعليم عن بعد، كحل استثنائي، خاصة ان فترة استمرار الازمة الصحية غير معروف، وكل التقارير الطبية العالمية، لا تشير الى حل قريب، وهنا أصبح التعليم عن بعد استراتيجية وطنية سواء في المدرسة الجزائرية، والجامعة ايضا، لكنه خلق بدوره ازمة بسبب حداثة التجربة، وعدم تقبله من طرف التلاميذ والطلبة.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بعد، العزل الصحي، التباعد الاجتماعي، كورونا، التعليم البديل.

***Corresponding author:** Nadjia Dif, E-mail addresses: nadjia.socio.dif@gmail.com Department of Sociology, University of Algiers 2, Algeria.

Second Author: Kerais Djilali, E-mail addresses: kerais2014@hotmail.fr Department of Sociology, University of Oran 2, Algeria.

Received: 09-07-2024

Accepted: 29-09-2024

Publish online: 31-12-2024

A theoretical analysis on the effects of the corona pandemic upon Algeria's - educational system

Abstract: Despite the outbreak of the pandemic in China, and doctors there issued a number of warnings, the world kept on moving regularly, until the pandemic went straight to epidemic stage, and all countries in the world were confronted with a fast-spreading virus. At the same time, it puts a strain on the health-care system because to the steady growth in the number of illnesses, despite the virus's small number of fatalities. Here, each country has began to fight to restrict the virus's transmission by preventative measures, the most essential of which are sanitary isolation and social distancing, and this has affected other areas, including the economy, education, tourism, and the closure of houses of prayer in different countries. Algeria, for instance, tried to adapt to the epidemiological situation by creating specific alternatives at the level of education. Studies have been suspended in both of schooling and higher education sectors, and at the same time it is time to resort to distance learning, as an exceptional solution, especially since the period of continuation of the health crisis is unknown, and that all international medical reports do not indicate a close solution, and distance learning has proven to be effective in this regard, both in Algerian schools and at universities, however this has resulted in a dilemma due to the novelty of the experience and its difficulty of acceptability by students. That is what we will attempt to identify in this research paper.

Keywords: learning, health isolation, social separation, Corona, educational alternatives

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

يمكن القول "إن الجانب الأتعس للحياة الآن، هو أن العالم يجمع المعرفة أسرع مما يجمع الحكمة" (سينجر، 2010، صفحة 157)؛ أي أن هناك سعيا وراء معرفة مصادر الثروة، والسيطرة والنفوذ، لكن دون الكثير من الاهتمام بالحكمة من وراء ذلك، أو ما يمكن أن يترتّب عن تلك المعرفة اتجاه البشرية، والكون والوجود، وهذا راجع إلى مخلفات الحداثة الغربية، وألوهية العقل، وفكرة الإنسان المتفوق والساعي إلى الهيمنة والسيطرة، إذ يمكن القول: إن العلم والبشر فقدوا الجانب الأخلاقي تماما، ولم تعد الطبيعة تخيفهم بقدر ما أصبحا هما معا، مصدرا للقلق، والخوف، والإرهاب، بمختلف أشكاله وأساليبه، فالإنسان المنتشي بعقله وبفتوحاته العلمية، أصبح اليوم يتسبّب في كوارث طبيعية، وأخلاقية وإنسانية، مدمّرة وذات آثار كارثية على الحياة والمناخ والأرض، لكن الجشع وحبّ السيطرة، وصراع الأقوياء أصبح يُبيح كل أشكال المواجهة، وربما تدْفع الدول الصغيرة، وغير المعنية بالصراع أساسا فاتورة المواجهة بين القوى العظمى.

فالحياة والموت أصبحت مجرّد لعبة، في نظام عالمي تافه تحكمه المصالح، والقوة، وتبحث فيه الدول العظمى عن أسرع الطرق للانتشار وخلق مناطق للنفوذ، وإرعاب خصومها، عن طريق توظيف مختلف التكنولوجيات وأحدث ما وصل إليه الخيال العلمي في الحروب الجديدة، التي لم تعد تعتمد على الجيوش الجرارة والأسلحة التقليدية، إنها حرب جديدة يحكمها الذكاء والتخطيط عن بعد، وضرب الخصوم تحت الحزام، دون مواجهة مباشرة، وهذا ما عرفه العالم بعد انتشار جائحة كورنا، التي انطلقت من الصين، كفيروس متعلّق الأطعمة الصينية التقليدية، حيث اعتبر الخفاش مصدرا للفيروس، وهو من بين الوجبات التقليدية في الصين، لكن سرعان ما تحول إلى لعبة خطيرة بين القوى العظمى في العالم، ثم تحول بحلول سنة 2020 إلى وباء يجتاح العالم ولا أحد يعرف كيف يتصرّف معه، فإذا ضلّت الصين تقدّم الفيروس كوباء يستوجب الاتحاد والتضامن العالمي، نجد دولا أخرى لمّحت إلى كون الفيروس مصطنع والهدف منه خلق حالة من الهلع العالمي، وهنا نجد فكرة المواجهة عن طريق اللاعنف، والتي تقتضي استخدام الحروب النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمواطنين والمؤسسات (كوروبوك، 2019، صفحة 71) وهذا ربما ما انتهجته الصين في إزاحة خصومها، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن الفيروس كما أشرنا لم يتوقّف عند القوى الكبرى، بل تحول إلى وباء عالمي، أدّى إلى تعطيل الحياة، وفرض نوعٍ من العزلة السياسة والاجتماعية، وأثّر على حركة التجارة العالمية والتبادل الاقتصادي، وربما فرض على المجتمعات إعادة هندسة علاقاتهم الاجتماعية، وحتّم على مختلف دول العالم، إعادة النظر في منظوماتها الصحية والتربوية والجامعية، عن طريق حتمية التباعد الاجتماعي والعزل الصحّي، التي لا تزال ومنذ أكثر من سبعة أشهر، ترهن النشاط التعليمي والتربوي في مختلف دول العالم، ومن بينها الجزائر التي علّقت النشاط الدراسي منذ شهر مارس 2020، وإلى غاية اليوم ليس هناك أيّ حلّ في الأفق، إن هذه الحالة التي فرضها فيروس كورنا، تجعلنا نطرح سؤال محوريا لهذه الورقة البحثية: كيف انعكس انتشار فيروس كورنا على المنظومة التعليمة في الجزائر، وهل نجح التعليم عن بعد في أن يكون بديلا للتعليم الحضوري؟

التساؤلات الفرعية:

- كيف ظهر فيروس كورونا في الصين، ثم تحوّل إلى وباء عالمي؟
- ما هي التحديات التي فرضتها جائحة كورنا على السياسة العامة في الجزائر؟

- وهل استطاع التعليم عن بعد في الجزائر أن ينقذ الموسم الدراسي، ويكون بديلا للتعليم الحضوري؟

فرضيات الدراسة:

- طريقة ظهور الفيروس وانتشاره تشير إلى وجود نوع من المؤامرة الدولية.
- جائحة كورنا فرضت على الحكومة الجزائرية انتهاج سياسة المواجهة والتكيف.
- التعليم عن بعد في الجزائر كان نتيجة التباعد الاجتماعي، ولا يرقى إلى مستوى البديل عن التعليم الحضوري.

أولا: شرح مفاهيم الدراسة:

تعتبر المفاهيم خطوة أساسية في البحث العلمي، كما أن شرحها وتعريفها يحيلنا إلى فهم الكثير من جوانب الدراسة، فالمفهوم يحمل معنى علمي، ومعرفي، وأمبريقي، ولذلك نجد فولتير يقول: "إذا كنت تريد أن تتحدّث معي، فعليك أن تحدّد مصطلحاتك ومفاهيمك" (عساف، 1987، صفحة 23)، ومنا هنا نستشفّ أهمية المفاهيم وأهمية تعريفها، وبما أن الظاهرة لا تزال في مرحلة التطور فستكتفي الدراسة بالتعريفات الإجرائية المقترحة من طرف الباحثين:

أ: التعليم عن بعـــد: ونقصد به مختلف الوسائل والوسائط التي تنوب عن الاتصال المباشر بين المعلم والمتعلّم داخل المدرسة أو الجامعة كفضاء للتدريس والتعليم، وهي طريقة تعتمد في التدريس للتمشي مع ظروف المتمدرسين، أو للتعبير عن مستوى متقدّم من التعليم، حيث يتمّ الاستغناء عن الحضور الفعلي، وغالبا ما تتمّ هذه العملية عن طريق الوسائط التكنولوجية، وتقتضي تدريب وتأهيل لكلّ من المعلم والمتعلّم، مع توفّر الوسائل المادية واللوجستية لضمان نجاح العملية.

ب: العزل الصحي: ونقصد به فرض حالة من العزل الإرادي أو عن طريق الإكراه على الأشخاص المصابين بمرض معدٍ، حتى لا ينتقل من شخص إلى آخر، وهذا ما اتُّبع بعد انتشار فيروس كورونا في الجزائر، حيث جرى عزل المصابين وكلّ ما يحيط بهم من أجل الحدّ من حالة التفشي والانتشار.

ج: التباعـــد الاجتمـــاعي: ونقصد به فرض نوع من التباعد الجسدي والاحتكاك الجسماني كالمصافحة، والمعانقة، والجلوس جنبا إلى جنب دون ترك مسافة للأمان، تمّ تحديدها من طرف المختصين طبيا، وهي مسافة تتعلّق بمدى قدرة الفيروس على الانتقال من شخص إلى آخر، وهذا ما ساهم في إعادة هندسة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الجزائري بعد تفشي الوباء.

د: كورونا: ونقصد به الفيروس التاجي الذي ظهر في محافظة ووهان الصينية بداية شهر ديسمبر 2019، وهو فيروس يهاجم الرئة ويؤدي الى مضاعفات خطيرة خاصة لدى كبار السن، ثم تحول الفيروس إلى وباء عالمي صنفته منظمة الصحة العالمية على أنه جائحة، وقد تسبّب في مشاكل اقتصادية، واجتماعية، وسياسية ناهيك عن الأزمة الصحية.

ه: الأزمة الصـــحية: ونقصد بها حالة الضغط التي يقع تحتها النظام الصحي، بسبب انتشار فيروس ما أو وباء ما، ويؤدي إلى حالة من الضغط غير المسبوق، مع تنامي حالات الإصابة وعدم قدرة المنظومة الصحية على استيعاب المصابين وتقديم العلاج لهم، إضافة إلى تبعات تلك الوضعية من صعوبات اقتصادية، واجتماعية، وسياسية تمرّ بها البلاد.

ي: التعليم البديل: ونقصد به الخطّة البديلة في العملية التعليمية، أي وجود مخرج ثالث لمواصلة التعليم بعد حدوث أزمة ما تحول دون وصول التلاميذ والطلبة إلى مقاعد الدراسة، وهو تعليم ظرفي واستثنائي، يهدف إلى تجاوز حالة الأزمة، وهذا ما حدث مع التعليم عن بعد في الجزائر بسبب جائحة كورونا.

ثانيا: المقاربة النظرية:

يعرّف كل من جيمس دورتي، وروبرت بلستغراف النظرية على أنها تنظيم للمعلومات بشكل يمكن معه تقديم أجوبة علمية وسليمة للإشكاليات التي تثيرها الظاهرة موضوع الدراسة (بلستغراف، 1985، صفحة 26)، وهذا ما يحيلنا إلى أهمية المقاربة النظرية في أي دراسة عليمة، كونها تساهم في تنظيم المعلومات وتقديمها بشكل مترابط ومتناسق، وقد اعتمدنا في هذه الورقة على المقاربة السلوكية التي ترى أن التعليم ما هو مجموعة من السلوكيات التي يجري تعزيزها عند المتعلم، فالتعليم حسب النظرية السلوكية ما هو إلا الهدف الذي يصبو إليه المعلم من خلال ما يقدّمه للمتعلم فيضع من خلال الاستجابة أو ردّة الفعل الذي يقوم به هذا الأخير، ولذلك فإن التعليم عن بعد انتهج في الجزائر كسياسة وضعتها الوزارة، لتعزيز مفهوم التعليم عن بعد عند التلميذ أو الطالب؟، وقد تمّ استغلال ظرفية جائحة كورونا لتجسيد هذا المشروع، رغم قلّة الإمكانيات والوسائل المادية التي يعتمد عليها.

ثالثا: المنهج المتبع: لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، خاصة أن الظاهرة جديدة، وهي لم تكتمل بعد، ولذلك لا يمكن الحديث عن فهمها أو تفسيرها، فهي لا تزال في مرحلة التشكل والتطور، ولذلك يعتبر المنهج الوصفي أفضل منهج لتناول الظاهرة.

رابعا: التقنية:

لقد اعتمدنا على تقنية الملاحظة، وذلك بصفتنا مشتغلين بالجامعة كأساتذة معيدين، وهذا ما يسمح لنا بجمع الكثير من المعلومات والملاحظات الميدانية حول التعليم عن بعد، وسلوك الطلبة اتجاه هذا النمط من التعليم.

خامسا: العينة:

لقد تعاملنا مع مجتمع البحث ككل؛ أساتذة وطلبة، حيث حاولنا التركيز على قرار التعليم عن بعد كسلوك من طرف الجامعة كمؤسسة، وردّة فعل الطلبة على هذا السلوك، كفئة مستهدفة من هذا الإجراء.

1- كورونا من ووهان الصينية إلى كارثة كونية:

قال نابليون: "دعوا الصين نائمة فعندما تستيقظ سوف تهزم العالم" (اليسون، 2018، صفحة 31). إن استفاقة الصين ووصولها إلى القمة لا يعني أن الطريق معبد أمامها، بل المسألة تقتضي مواجهة عنيفة مع الطامحين إلى الصعود، ومع من هم في القمة، ومن المؤكد أن تكون المواجهة شرسة وتستعمل فيها كل الأساليب التي يتقنها الكبار، فالصين لا تريد احتلال العالم عسكريا، ولا تريد أن تفرض توجهها السياسي على أتباعها المنهكين من السياسات الغربية والأمريكية، الصين تبحث عن أسواق اقتصادية وتريد أن تحتل سلعها العالم، عن طريق تقسيم الكون إلى مناطق ولكل منطقة استراتيجيتها في التغلغل والسيطرة، إمّا عن طريق انتزاع مناطق نفوذ من خصومها، وإمّا عن طريق فتح آفاق جديدة وأسواق جديدة، عن طريق الإنتاج حسب الطلب، وهذا ما حدث في آسيا وإفريقيا، وحتى في أمريكا اللاتينية، فالصين ليست مهتمة كثيرا للأوضاع السياسية، ولا تضع أبدا في أجندتها التوسعية؛ الديمقراطية وحقوق الانسان كأولوية، هي فقط تبحث عن أرباح اقتصادية وعن ضرب خصومها تحت الحزام، وهذا ما أصبح واضحا في الفترة الأخيرة، بعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية غير قادرة على السكوت أو تقبّل التوسع الصيني، الذي أصبح مُقلقا، وأصبح يشكل خطرا على الاقتصاد الأمريكي.

وهنا أصبحت المواجهة بين القوة الصاعدة والقوة المهينة حتمية ولا مفرّ منها، وهي مواجهة مفتوحة على كل الاحتمالات، وتستعمل فيها كل الأسلحة من التقليدية إلى الحديثة إلى الأسلحة الذكية والمعتمدة على الخيال العلمي الذي أصبح مؤثر جدا وبطريقة تبعث على الدهشة (سينجر، 2010، صفحة 49)، فالرقمنة، والقرصنة الالكترونية، وتدمير حواسيب الأعداء، وسرقة برامجهم الدفاعية وتطويرها وبيعها في السوق، أصبح شكلا معترفا به في الحروب الجديدة بين القوى العظمى، كما أن لا أحد من هذه القوى يفكر بجدية في مصير البشرية أو ما يمكن أن يلحق بها من الضرر، فقط التفكير منكب على كيفية النجاح وهزيمة الخصوم، ولذلك أصبحت الحرب البيولوجية جزءا هي الأخرى من عملية تكسير العظام، وليّ الأذرع بين بكين وبين العالم الغربي المحتمي بأمريكا، فلا أحد يريد مواجهة أمة المليار ونصف المليار التي بنت نفسها من الحضيض، وتحوّلت إلى تنين حقيقي بعد أن كنا نسمع عنه في الأساطير والرسوم المتحركة.

في بداية شتاء 2019 الصين تعلن عن فيروس غريب ينتشر في مقاطعة ووهان، يبدو كالإنفلونزا الحادة، لكنه سريع الانتشار ويمكن أن يقتل في عدة أيام، الصين خائفة وتسارع إلى احتواء الفيروس، لكن العالم يتفرّج ويظن أنها مجرّد وعكة صحية في الصين وسرعان ما ستتعافى منها، لكن الخطير أن مقاطعة ووهان تحتوي على اكبر موانئ التصدير في الصين، أي أن الفيروس الغريب والقاتل يمكن أن يشدّ الرحال إلى العالم، فالصين لا تصدر إلى جهة واحدة، بل هي تستورد من العلم كله وتصدره له أيضا، وهذا يجعلنا ندرك أن انتشار الفيروس في ووهان لم يكن سوى بداية الحفلة التي سينخرط فيها الجميع، وستفسد على البشرية بداية عام جديد وربما نهايته أيضا، خاصة وأننا نعيش في قلب مجتمع المخاطر، الذي يمكنه تصدير المخاطرة زمانيا ومكانيا (بيك، صفحة 257)، وهذا ما بدا مع بداية العام الجديد، حيث شرع الفيروس في الانتشار والتوسع، وأصبح عدد الإصابات يرتفع بشكل مطرّد ومخيف، وأصبح العالم كله يتحدّث عن الوباء، وكل يذكر الكل بالإنفلونزا الاسبانية التي فتكت بالعلم في عشرينيات القرن الماضي، فالفيروس خرج من الصين لكن كيف خرج؟ ولماذا خرج؟ وهل هو انتخاب طبيعي أم أنه أحد ألاعيب مجتمع المخاطر العالمي؟ أسئلة لا توجد لها إجابة إلى اليوم، خاصة بعد أن انخرط العالم كله في التحذير من فيروس غريب وينتقل بالمس وعن طرق السعال والعطس، ويبدو أنه سيفرض حالة من العزلة على العالم، ويخلق عدّة أزمات ستضرب كل دولة حسب حجمها وقوتها، خاصة من الناحية الاقتصادية، إذ سارعت كل دول العالم إلى غلق حدودها، والدخول في حالة عزلة اضطرارية، وبدا كل شيء ينهار، ولم تعد الصين وحدها في ورطة، خاصة بعد أن انخرطت منظمة الصحة العالمية في اللعبة، وبدأت تطلق تحذيرات فيها الكثير من التهويل ومحاولة نشر الخوف والفزع، ومن جهة الإعلام، انخرط هو الآخر في اللعبة، وأصبح يقدم كورونا على أنه أحد سيناريوهات فناء البشرية الأكثر واقعية، إذ يمكن القول إن هناك محاولة لتخويف البشرية جمعاء والسيطرة عليها، فعدم الشعور بالأمان أحد أسلحة المتلاعبين الأساسية (ايك، 2017، صفحة 384) فالفيروس يبدو وكأنه كارثة اقتصادية وسياسية، ومحاولة لإعادة ترتيب العالم، أكثر منه وباء قاتل يهدد البشرية.

مع ربيع 2020 أصبح كوفيد 19 وباءً عالميا، وقد ساهم في تغيير الكثير من ملامح الكون، وأثبت عدم فاعلية العديد من المنظمات والمؤسسات الإقليمية والدولية، وأثبت أن لكل دولة ومجتمع مصيرا سيوجهانه وحدهما، كما اثبت أن اللعبة أكبر من وباء انتشر بطريقة مفاجئة أو كما رُوّج له في البداية على أنه انتقل من الخفافيش الى البشر بسبب المطبخ الصيني المجنون، خاصة بعد التهم التي وجهها الرئيس الأمريكي ترامب للصين محملا إياها المسؤولية في انتشار الوباء، حيث أصبح الفيروس معروفا في خطاباته بالوباء الصيني، وهذا ما يحيلنا إلى أن اللعبة هي لعبة الكبار لإعادة الانتشار

وتقسيم العالم، خاصة بعد أن بدأت تحالفات قديمة تظهر من جديد، وتخلى الأوربيون عن جيرانهم الإيطاليين والإسبان، بينما وجهوا مساعداتهم إلى إيران، وفي نفس الوقت تخلت روسيا عن إيران وسارعت لإنقاذ إيطاليا وإسبانيا، وهذا ما أعطى صورة عبثية للنتائج المترتبة عن انتشار هذا الفيروس وقدرته على تغير ملامح العالم، وذلك عن طريق إرباك المجتمعات والحكومات، وجعلها غير قادرة على التميز بين الحقيقة والخيال في أغرب وباء يحلّ بالعالم، فالناس إذا لم يعرفوا حقيقة ما يحدث فسيكون من السهل أن ينخدعوا بكلّ ما يحدث (ايك، 2017، صفحة 59)، فالعالم تحكمه اليوم الخديعة وسرعة التحرك وضرب الخصوم، خاصة عندما تتحوّل دولة ما إلى مصدر للقلق، فإن الكبار لن يسكتوا عن تلك الحالة، وهذا ما شهده الاقتصاد الصيني الذي أصبح يتعرّض للتضييق من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك ربما كانت كورونا ردّة فعل صينية على طريقة حكماء الصين، أي أن تجعل العالم كله يعاني بدل أن تعاني وحدك.

كما أن انتشار الفيروس وتعليق المبادلات الاقتصادية، وتوقّف حركة الطيران العالمي وحتى الشحن البحري، يشير بوضوح إلى خطّة مدروسة مسبقا من أجل إعادة هندسة الاقتصاد العلمي، في مجتمع أصبح وكأن هناك لوثة جينية تجذّرت في داخله، وبدا الجميع وكأنهم ضدّ الجميع (موران، 2005، صفحة 10)، حتى وإن لم يكن عن طريق العنف المباشر والمواجهة العسكرية، لكن عن طريق الحروب الاقتصادية والبيولوجية ومحاولة كل دولة إزاحت الدولة الأخرى، والتغلغل في مناطق نفوذها، فكفيد 19 ما هو إلا أحد أشكال تلك الحرب، التي فضلت الصين أن تكون أول ضحاياها، لكن لفترة قصيرة، ثم انقلب السحر على الساحر، وتتحول إلى متفرج على عالم يغرق، إذ لا يمكن إغفال تلك الشركات التي أفلست، وباعت أصولها للصين، ولا يمكن إغفال انهيار النفط الأمريكي إلى ما دون صفر دولار، وتفشي البطالة بشكل غير مسبوق في كل دول العالم، خاصة الاقتصاديات الكبيرة، والتي بدت عليها ملامح التأثّر بسبب سياسة الإغلاق العام، وتقديم المصلحة الصحية على المصلحة الاقتصادية لأول مرّة في مجتمع صناعي يعتقد الريش بيك أنه توجد فيه احتمالية جديدة من نوعها، ولم يسبق لها وجود في التاريخ للدمار الذاتي الذي تسبّب فيه الانسان لكل أشكال الحياة على هذه الأرض (بيك، صفحة 64)

إذا جائحة كورونا التي بدأت أزمة صحية في بدايتها، وفرضت إجراءات وقائية غير مسبوقة حولت أكبر مدن العالم إلى مدن أشباح، بسبب الحجر المنزلي وسياسة التباعد الاجتماعي التي أصبحت مقدّسة في كل بلدان العالم، بعد أن أعلنت منظمة الصحة العالمية أن جائحة كورنا قد تبقى معنا إلى فترة طويلة وأنه ليس هناك أيّ لقاح في الأفق القريب أو المتوسط، سياسة اعتبرت تهويلية وتخويفية حتى من طرف واشنطن التي قرّرت في البداية تجاهل الوباء وفضلت مصالحها الاقتصادية على الصحة العامّة، ولذلك سارعت باتهام منظمة الصحة العالمية على أنها طرف في اللعبة الصينية، حيث أصبح خطاب المنظمة تيئيسيا وساعيا إلى نشر الخوف وتعميمه، وهذا أحد استراتيجيات ضمان الامتثال للقوانين والقواعد، أي قوانين وقواعد اللعبة الكونية التي تسعى إلى توجيه العالم والتحكّم فيه، حيث يرى دفيد ايك أن من أكثر الطرق فعالية لضمان الامتثال للقواعد والقوانين هو جعل الأمر يبدو صعبا لكي يكونوا مختلفين (ايك، 2017، صفحة 79). إن حالة الاختلاف والخلاف ستزيد من احتمالية عدم حلّ المشكلة حيث تلجا الدول إلى استراتيجية قارب النجاة، فكل دولة ستبحث عن حلٍّ فردي لمشكلة عالمية، وهذا ما صعّد من أزمة كورونا التي فرضت على كل دولة حلول ذاتية ومراعية لمصالحها الداخلية، وهذا ما عمدت إليه الصين من خلال خلق أزمة تربك العالم وتزيد من حالة الغموض والإبهام، التي أسست لها حالة الحداثة المفرطة، إذ أباحت استعمال كل الوسائل والطرق حتى وإن كان ذلك

سيأتي على البشرية جمعاء، فبلغة الحداثة لا شيء واضح، ولا شيء محسوم، حيث يتكوّر كل شيء حلزونيات مبهمة من التناقضات (شايغان، 1993، صفحة 86)

إن حالة الغموض التي ولدها فيروس كورونا أدت إلى إدخال العالم في حالة أزمة، طالت كل القطاعات وانعكست على كل الدول، فكل دولة تعاني حسب حجمها ورهاناتها ومدى اعتمادها على الاقتصاد الحر والمبادلات الاقتصادية، ولذلك كان تأثيره على الدول الصغيرة ومحدودة النشاط الاقتصادي أقل من تلك الدول الكبرى، التي دخلت في حالة من الارتباك والفوضى والقرصنة، فهي تعتمد على حركية النشاط الاقتصادي العالمي، بينما الدول الصغيرة، ومن بينها الجزائر فقد عرفت حالة الأزمة لكنها على المستوى الداخلي، ومست قطاعات حيوية من خلال الحجر الصحي، وسياسة التباعد الاجتماعي، التي أدت إلى تعطيل الدراسة وغلق الجامعات، دون وجود خطّة بديلة لتسيير الأزمة، وهذا ما عانت منه الكثير من دول المنطقة، رغم أن لا أحد كان متأكّدا من طبيعة الفيروس، وكيفية انتشاره ولا طرق مواجهته، فالكلّ يقرّ بوجود مشكلة صحية، لكن تبيعاتها تحولت إلى مشكلة تعليمية واقتصادية وأمنية، ولذلك فإن البحث عن الحلول سيكون أكثر تعقيدا من المشكلة نفسها، ولذلك يرى دفيد ايك أن استراتيجية السيطرة والتلاعب بالشعوب والتحكم فيها، تقوم على صناعة المشكلة، وانتظار ردّة الفعل وتوقع الحلول (ايك، 2017، صفحة 82)، وهذا ما عمدت إليه الصين، حيث أصبح الجميع ينتظر الحلّ منها، وهي تدّعي أنها ضحية كغيرها، لكن ما زاد من حالة الشكّ؛ هو تراجع الوباء في الصين بينما أصبح يفتك بالعالم كله، خاصة الدول التي تعتبر منافسة للصين على الصعيد الاقتصادي.

من خلال هذا يمكن القول إن جائحة كورنا التي بدأت في الصين سرعان ما تحولت إلى أزمة عالمية، لكنها لم تبق على المستوى الصحي بل ساهمة في إرباك الاقتصاد العالمي، وأدّت إلى أكبر موجة إغلاق يشهدها العالم كله، حيث خلقت حالة أزمة حسب كل دولة وحجمها وإمكانياتها، وهذا ما عرفته الجزائر خاصة على المستوى التعليمي، حيث توقف التعليم الحضوري فجأة وبدون مقدمات ولا أيّ خطّة بديلة تسيّر الأزمة في قطاع التربية والتعليم العالي، وهذا ما سنتطرّق إليه من خلال المحور الثاني للورقة.

1- جائحة كورونا في الجزائر: أزمة وارتباك عام

الأزمة هي مرحلة صعبة تمرّ بها مجموعة اجتماعية أو يمرّ بها الفرد (بدوبار، 2008، صفحة 22)، وهي تؤدي غالبا إلى حالة من الارتباك وتوقف الأنظمة والأنشطة بسبب خلل ما، يحدث فجأة أو نتيجة ممارسات غير صحيحة، وهذا ما حدث مع جائحة كورنا التي تهاونت أغلب الدول في التعامل معها منذ البداية، حيث لم تتوقّف حركة الطيران أو الشحن البحري، رغم إعلان الصين حالة الطوارئ وارتفاع عدد الإصابات والوفيات، لكن ظلّت الحياة تسير بشكل عادي في الجزائر، إلى أن سُجّلت أول حالة لرعية إيطالي، وربما لم تكن سوى البداية لوباء سيخنق الحياة الاقتصادية والتعليمة وحتى العلاقات الاجتماعية في المجتمع الجزائري، خاصة أن الجزائر كانت تعيش في تلك المرحلة على وقع الحراك الشعبي، وخروج مظاهرات أسبوعية للمطالبة بالتغيير ورفض نتائج انتخابات 12 ديسمبر 2019، وهذا ما كان سيزيد من احتمالية تفشي الوباء في حالة دخوله للجزائر، كما أن حركة النقل الجوي بين الجزائر وأوروبا، لا سيما فرنسا لم تتوقّف، رغم الانتشار المقلق للوباء في فرنسا، كلها متغيرات كانت تشير إلى أن الجزائر ستعيش أزمة صحّية حقيقة، وأن الفيروس دخل البلاد وهو في مرحلة الحضانة على الأقل.

إن بداية انتشار الأزمة الصحّية في الجزائر، تزامن مع أزمة سياسية، وحراك شعبي يرفض كل الإصلاحات المتوصل إليها، وبذلك يمكن القول إن حالة الارتباك التي دخلت فيها الجزائر مع بداية الجائحة، كانت مضاعفة نتيجة وضع سياسي داخلي دقيق، ويشير إلى وجود خلافات عميقة بين السلطة الحاكمة والطبقة السياسية في البلاد، إضافة إلى مسيرات الحراك الشعبي التي من شانها تعميق الأزمة إذا استمرت، خاصة وأن الكثير من الحراكيين شكّكوا في حقيقة الفيروس وفي كيفية انتقاله إلى الجزائر، واعتُبر انتشار الفيروس مجرّد خطّة لإفشال الحراك عن طريق منع التظاهر ومنع التجمعات، وهذا راجع إلى خروج البلاد من أسوء عشرين سنة حكم، انتشر فيها الفساد بكل أنواعه، وتعمّقت أزمة الاتصال والتواصل بين السلطة السياسة وبين مختلف فئات المجتمع، حيث انحصرت تلك العلاقات إلى حدٍّ مخيف، وأصبح النظام يعتمد على مجموعة من الزبائن السياسيين، كوسيط بينه وبين المجتمع، حيث إن قلّة عدد الناخبين تؤدي إلى إقامة علاقات زبائنية بين الناخب والمنتخب (ريترو، 2018، صفحة 35)، ويصبح المجتمع مغيبا تماما عن اختيار مُمثليه وعن المشاركة في صناعة القرار. فهذه الممارسات جاء حراك 22 فيفري للحدّ منها، لكن نتيجة غموض النظام السياسي في الجزائر، ووجود أكثر من جناح داخل السلطة، وممارسة الشعب لأول مرّة حقّ التعبير الحرّ، ساهم في تعميق أزمة الانتقال الديمقراطي، وأصبحت الدولة تعيش على واقع أزمة صحّية أصبحت أكثر جدية، وبين أزمة سياسية يمثلها شباب غاضب، ولا يثق في أيّ رمز من رموز السلطة السياسية.

إن هذه الحالة المضاعفة من الأزمات التي رافقت انتشار فيروس كورونا المستجد في الجزائر، كادت تدخل البلاد في حالة مواجهة مفتوحة، بين السلطة السياسة التي باشرت إجراءات وقائية صارمة، وبين حركات شبابية وسياسية رافضة لأيّ إجراء ومشككة في حقيقة الفيروس، وهنا دخل الإعلام على الخطّ، ليزيد من حالة الضبابية، خاصة وأن هناك قنوات موالية للسلطة والأخرى ضدّها، إضافة إلى الوسائط الاجتماعية التي كان لها دورا كبيرا في توجيه الشارع أثناء الحراك، وهي أيضا تريد الحدّ من فاعلية قرارات السلطة السياسية في ما يخصّ التعامل مع جائحة كورونا، التي تبدو أصلا حالة صحّية غامضة ومخيفة، وتشير إلى أزمة عالمية بين الكبار، لكن من خصائص العولمة أن يدفع الجميع فاتورة صراع الأقوياء، ولذلك لا يمكن الوثوق في ما تناقلته وسائل الإعلام من كلا الطرفين، وهذا ما نوّه إليه هربرت شيلر إذ يرى في كتابه المتلاعبون بالعقول، كيف يقوم الإعلام من جهة بعملية التضليل، ومن جهة أخرى يكون كأداة قهر وقمع (أحمد، 2015، صفحة 21)، فكورونا من جهة كان وباءً قاتلا، ومن جهة أخرى كان مجرّد سيناريو اخترعته السلطة السياسة لوقف الحراك السياسي، وهذا ما انتشر فس مواقع التواصل ولدى القوى الشبانية التي كانت تقوم المسيرات والتظاهرات الشعبية، وهذا في فترة ساد فيها الشكّ والتوجس، حيث ظن المجتمع أن كورونا والحرب عليه هي مجرد كذبة صنعها النظام الحاكم حيث انخرط الجميع في محاربة وباء تم فرضه فرضا من طرف زعماء يحترفون الكذب (ايك، 2017، صفحة 114) لكنها حرب دخلها العالم كله شرقا وغربا وربما هذا ما أدى إلى إعادة النظر في الموقف من الفيروس على المستوى الشعبي، مع تزايد الاصابات، محليا وعالميا.

وإذا عدنا إلى أهمّ الأزمات التي خلقها انتشار فيروس كورونا المستجد في الجزائر، والتي حاولت السلطات السياسة التعامل معها قبل أن تصل إلى مرحلة التفشي، وظهور بؤر وبائية كالتي ظهرت في إيران، أو إيطاليا وأسبانيا، حيث سارعت الحكومة إلى اتخاذ جملة من التدابير، مع نهاية شهر فيفري وبداية مارس، لننتقل من مرحلة التحذير من انتشار

الفيروس إلى مرحلة الوقاية منه ومواجهته، خاصة بعدما أصبح عدد الإصابات في ولاية البلدية يقلق السلطة السياسة ويخيف الرأي العام، ويربك حتى أنصار فكرة المؤامرة من أجل إجهاض الحراك، وهنا سنشير الى بعض تلك الإجراءات:

- إعلان ولاية البلدية منطقة موبوءة.
- تعليق الدراسة في كلّ من الجامعات والمدارس العمومية والخاصة.
- مباشرة عملية الانتقال إلى التعليم عن بعد في مختلف الأطوار.
- إغلاق بعض المناطق ومنع الدخول والخروج منها.
- تشكيل لجنة وطنية لرصد ومتابعة انتشار الفيروس.
- منع كل أشكال التجمعات ومتابعة المنخرطين فيها قضائيا.
- تعطيل بعض الأنشطة الاقتصادية غير الأساسية.
- إلغاء كل الأنشطة الرياضة.
- غلق المجال الجوي، والبحري، والبري.
- فرض حالة الحجر المنزلي الكلّي والجزئي حسب تفشي الوباء.
- إقرار سياسة التباعد الاجتماعي وغلق كل أمكان التجمع.
- عمل الإدارات العامة عن طريق الحدّ الأدنى من الموظفين.
- تكثيف الحملات التوعوية والتحسيسية من أجل الحدّ من انتشار الفيروس.

إن هذه الإجراءات وغيرها التي اتُّخذت في فترات زمنية متقاربة تشير إلى وجود سباق بين السلطة السياسية وبين تفشي الفيروس، الذي أصبح يفتك بأقوى المنظومات الصحية في العالم، ولذلك حاولت الجزائر أن تستعدّ للأسوء بسبب ضعف المنظومة الصحّية، وعدم وعي المواطنين بخطورة ما يحدث، ولهذا حاولت السلطة تعميم خطاب سياسي يميل إلى الشعبوية عن طريق تهييج العواطف وجعل المواطنين ينخرطون في هبّات تضامنية، وتأجيل كل الخلافات إلى ما بعد الجائحة، حيث أن الخوف من الرأي العام يدعو إلى الإحاطة بجماهير معرّضة للانفعالات أكثر مما هي معرضة للرشد (ريترو، 2018، صفحة 31)، وهذا عن طريق فتح حساب للتضامن وتقديم المساعدات المالية، إضافة إلى تكثيف الخطابات السياسة للمسؤولين ومحاولة شرح كل ما يحدث، وتجنيد مختلف الجهات الرسمية وغير الرسمية لإقناع المواطنين بخطورة الوضع، إضافة إلى اللجوء إلى استعمال القوة في كثير من الأحيان.

إن تفشي جائحة كورونا في الجزائر، أدى إلى جملة من الأزمات، ولعل أبرزها أزمة التعليم، وإنهاء الموسم الدراسي، فقد تمّ تعليق الدراسة بناء على توصيات لجنة الرصد والمتابعة، مع بداية شهر مارس، وفي نفس الوقت قرّرت كل من وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي، تدشين عصر نوع جديد من التعليم، وهو التعليم عن بعد، ذلك النوع الذي كان محصورا في فئات خاصة، ويمثل بالنسبة للكثير من المتمدرسين، نوعا متعلقا بالفاشلين، ولذلك فإن الانتقال إليه فجأة وبدون مقدّمات، وبدون مراعاة للإمكانيات العلمية، والمعرفية، والمادية، واللوجستية للمؤسسات التعليمة في الجزائر، سيؤدي إلى ردّة فعل متباينة بين الطلبة والتلاميذ وحتى هيئات التدريس، ولذلك الوزارة الوصية في كل من قطاع التربية وقطاع التعليم العالي على فرض التعليم عن بعد عن طريق تعليمات ونصوص قانونية، بغض النظر عن الإمكانيات المتاحة، حيث أنه

كلما زاد احتمال عصيان سلوك ما، ازداد احتمال صياغته بقوة وإصرار (باومن، 2016، صفحة 54)، وربما هذا ما سيحول التعليم عن بعد في الجزائر من أحد خيارات مواجهة الأزمة الصحية، إلى أزمة تعليمية بسبب غياب رؤية واضحة.

1- التعليم عن بعد في الجزائر حل استثنائي لوضعية استثنائية

"إن كل فعل بيداغوجي إنما هو موضوعيا عنف رمزي على اعتبار أنه فرض بواسطة سلطة اعتباطية لاعتباط ثقافي" (باسرون، صفحة 77). إذا كانت هذه المقولة تنطبق على أيّ عملية بيداغوجية، حتى وإن كانت في أرقى الدول، فدائما هناك نخبة مسيطرة وتسعى إلى الاحتفاظ بنفوذها عن طريق إعادة إنتاج نفس المجتمع، وبنفس الهندسة الاجتماعية، وهذا ما تعيشه المنظومة التربوية وحتى الجامعية في الجزائر، وذلك من خلال تكريس مبدأ الصراع داخل الجامعة أو المدرسة، وفرض قرار وسياسة المهيمنين، حتى وإن كانت تتعارض مع الواقع ومع الأهداف المعقولة، لكن خيار الهيمنة واستمرار السيطرة والنفوذ يدفع دائما باتجاه الارتجالية في التسيير، وفي تنميط المدرسة والجامعة برؤية الجناح المهيمن، وهنا يمكن الإشارة إلى حالة اللا استقرار داخل المنظومة التربوية، بسبب تعدّد الأقطاب المتنافسة على السيطرة، وهذا ما أدى إلى رهن العملية التعليمة ووضع البرامج التي لم تكن تراعي الجانب العقلاني، وإنما قناعات كل تيار داخل هذه المنظومة (بلغازي، 2017، صفحة 246)، ولحد الان لا قطاع التربية، ولا قطاع التعليم العالي، يسيران بأيّ استراتيجية واضحة، حيث نعيش دائما على وقع قرارات فجائية وغير منتظرة، ومن بينها قرار التعليم عن بعد الذي رافق جائحة كورونا في الجزائر، فبمجرّد توقّف الدراسة الحضورية، أُعلن مباشرة بداية التعليم عن بعد، رغم أن العملية تحتاج إلى إمكانيات مادية، وبشرية، ولوجستية كبيرة، وهذا ما كان غائبا عن المنظومة التعليمية في الجزائر، حيث سجلت المفوضية الإفريقية نقصا كبيرا في البنية التحتية لتكنلوجيا المعلومات والاتصالات (المكتب، 2020، صفحة 4). في مختلف الدول الإفريقية بما فيها الجزائر، ولذلك كان مغير المعقول الانتقال مباشرة إلى نمط التعليم عن بعد دون وجود استراتيجية واضحة لمرافقة العلمية التي تقتضي تكوين وتأهيل للأساتذة والطلبة على حد السواء، وحتى على مستوى الكادر الإداري الذي يشرف على تسيير المنصات الرقمية.

إن هذا النقص المسجل في كل الدول الإفريقية مع تفاوت حسب الإمكانيات، لكنه أيضا واضح في الجزائر التي لم تكن تمتلك تجربة سابقة في التعليم عن بعد، وهذا ما فرضته جائحة كورنا بطريقة فجائية، حيث انتقل التلاميذ إلى التعليم عن طريق القناة السادسة، التي فُتحت خصيصا لمواصلة الدراسة، بينما انخرطت الجامعة في رقمنة التعليم، وفتح منصات الكترونية، تضمن مواصلة الطلبة لدراستهم عن بعد، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل كانت الجامعة الجزائرية مستعدة فعلا لتدشين التعليم عن بعد؟ فهي تعيش على وقع العديد من الأزمات، وأيضا ليس هناك انتشار واسع لخدمات الإنترانت عالية الجودة، كما أن التعليم الجامعي في الجزائر لا يزال كلاسيكي وتقليدي حتى في الدروس الحضورية فكيف الانتقال إلى التعليم عن بعد؟ الذي يحتاج تقنيات عالية الدقة، وأساتذة وطلبة مستعدين للتواصل رقميا، فكل المؤشرات تشير إلى أن هناك عجزا وضعفا كبيرا داخل الجامعة الجزائرية، فهي تعاني كغيرها من العديد من جامعات العالم أزمة تعليمية عالمية، فهناك الكثير من الطلاب في المدارس، لكنّهم لا يتلّقون فيها المهارات الأساسية التي يحتاجونها في الحياة العملية (سافيدرا، 2020).

لكن رغم ذلك وبسبب الأزمة وتسارع الأحداث، لم يكن هناك خيار أمام الجامعة الجزائرية سوى الانخراط في عملية التعليم عن بعد، والعمل على فرضه عن طريق جملة من القرارات والتعليمات التي صدرت في فترة وجيزة وأثبتت أن هناك رغبة من طرف الوزارة في تعميم هذه العملية، دون مراعاة الواقع ولا الإمكانيات، حيث تمّ حصر التعليم عن بعد في وضع الدروس والمحاضرات في شكل ملف **Word** أو **PDF** على مستوى المنصات الإلكترونية، التي كانت تعرف صعوبة كبيرة في الولوج إليها من طرف الأساتذة، ناهيك عن الطلبة، وهذا الشكل من التعليم عن بعد يعد كلاسيكيا وتقليديا، مقارنة بما وصلت إليه الجامعات الراقية في العالم من تقنيات التحاضر عن بعد، والتواصل المباشر بين الطلبة والأساتذة، فالتعليم عن بعد يحتاج إلى برامج، إمكانيات مادية، ومعرفية تسمح لهيئة التدريس والطلبة تقبل فكرة التعليم عن بعد وإعتبرها نمطا تعليميا رسميا، وهذا من أجل التمكن من استخدام هذه المنصات، وتقنياتها الحديثة من صوت، وصورة، وقواعد بيانات لتقديم دروس حيثما كان الطالب، وفي أيّ موقع على خارطة العالم، وفيه تستخدم طرق الاتصال بالإنترنت (رزمي، 2010، صفحة 52) وبذلك هو عملية جد معقدة وتحتاج إلى وقت، وليست مجرد خطة بديلة يمكن الانتقال إليه في ظرف استثنائي، فهي نمط تعليمي موازي للتعليم الحضوري، ويمتلك تقاليد راسخة، وهذا ما كان غائبا في التجربة الجزائرية، التي تميزت بسرعة الانتقال إلى التعليم عن بعد، ومحاولة فرضه كخيار يعكس رغبة السلطات، ولا يراعي الواقع الذي هو بعيد كل البعد عن هذه التقنية، ليس لكونها معقدة أو صعبة، بل لعدم توفر الوسائل، وعدم وجود خطة عمل، وفي هذا الصدد يقول الباحث سعيد يقطين: "لقد فرضت علينا الجائحة تجربة كان علينا أن نخوضها ونفكر فيها منذ مدّة طويلة، ونوفّر لها كل الأسباب العلمية، والتقنية، والثقافية، والاجتماعية، والمؤسسية حتى تتحول إلى واقع" (يقطين، 2020) وهذا ما كان غائبا بشكل كبير، ولذلك تباينت مواقف الطلبة والأساتذة حول هذه الاستراتيجية في التعليم، فقد سجلنا بصفتنا مشتغلين بالجامعة جملة من المواقف التي يمكن حصرها فيما يلي:

أ/ موقف الأساتذة:

- تذبذب في الاستجابة للتعليم عن بعد.
- حصر العملية في وضع المطبوعات على المنصة الإلكترونية.
- اعتبار القرار فوقي ولا يراعي إمكانيات الجامعة ولا الطالب ولا الأستاذ.
- عدم تجاوب فئة من الأساتذة الذين تراوحت نسبتهم بين 10% و 15%.
- غياب المعلومات الإلكترونية لبعض الأساتذة مما صعّب عملية التواصل معهم.
- نسبة قليلة جدا لا تتجاوز 5% من الأساتذة الذين استخدموا طرق أخرى في التعليم عن بعد، مثل تقنية التحاضر عن بعد.
- إقرار جميع الأساتذة بفشل التعليم عن بعد، بسبب غياب رؤية واضحة.

ب/ موقف الطلبة:

- رفض فكرة التعليم عن بعد واعتبارها غير معقولة.
- رفض الولوج إلى المنصات الرقمية بسبب عدم توفّر الإنترنت.
- السخرية من فكرة التعليم عن بعد عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي.

- تصريح الطلبة بعدم استيعابهم للدروس عن طريق الحضور الفعلي، ولذلك يستحيل الاستعجاب عن طريق التعليم عن بعد.
- رفض انجاز البحوث عن طريق الخطّ، وإرسالها للأساتذة، حيث سجلنا نسبة تجاوب لا تفوق 02%.
- عدم قدرة الطلبة على الدخول للمنصات الإلكترونية، والتي كان أغلبها في حالة تعطل.
- تفضيل الطلبة العودة إلى مقاعد الدراسة بدل التعليم عن بعد.

إن هذه الملاحظات التي تعكس واقع عملية التعليم عن بعد التي انطلقت في شهر مارس، وهي ملاحظات تكاد تعكس نفس الموقف بين الطلبة والأساتذة، الذين فرضت عليهم العملية دون مراعاة واقعهم، حيث سجلنا إرسال الوزارة عددا كبيرا من التعليمات التي تراقب وتتابع التعليم عن بعد، والتي قدّر عددها بخمسة تعليمات ما بين شهري مارس وماي 2020 (الزهرة، 2020) وهذا يشير إلى أن هناك قوّة قاهرة ورغبة ملحّة من طرف الوزارة التي أسست للتعليم عن بعد، وليس هناك رغبة أو استعداد على مستوى الجامعات، فقد لاحظنا اهتماما كبيرا من طرف مدراء الجامعات بإنجاح العملية ولو شكلا، عن طريق رفع تقارير دورية وبشكل أسبوعي عن نسبة التقدم في التوجّه إلى التعليم عن بعد، بينما في الواقع يمكن القول إن الطالب انقطع عن التعليم وبشكل كلي منذ بداية الحجر الصحي وتعليق الدراسة بشكل حضوري.

إن الطالب وبصفته المستهدف من عملية التعليم عن بعد، سجّل امتعاضه من هذه العملية ورفضه لها، كونها جاءت في شكل إكراه، ودون أيّ استشارة للطلبة والأساتذة الذين يعتبرون محور العملية، ودون انخراطهم بشكل كلّي لا يمكن نجاح هذه العملية، خاصة أنها تعتمد على تدفّق عالي للإنترنت، وتتطلب توفّر الطلبة على الوسائل اللازمة في بيوتهم، من أجل الحفاظ على التواصل مع أساتذتهم دون انقطاع، وهذا ما هو غائب، فالكثير من المناطق غير مغطاة بشبكة الإنترنت داخل المدن، فكيف بالمناطق الشبه ريفية والمناطق الريفية المعزولة، وبذلك إن التعليم عن بعد فُرض بناء على رغبة سياسية وليس حاجة علمية وتعليمية، ولذلك سارع الطلبة إلى رفضه وعدم التعامل معه، حتى لا يتمّ تحميلهم مسؤولية الرسوب في الامتحانات التي ستعتمد في السداسي الثاني على ما دُرّس عن طريق التعليم عن بعد، حيث أشارة دراسة إلى أن أكثر من 70% من الطلبة قد فقدوا الرغبة في مواصلة الدراسة عبر الإنترنت (مريم، صفحة 84)، لكن رغم ذلك بقيت وزارة التعليم العالي مصرّة على المضي قدما في العملية، وهذا يشير إلى أولوية السياسي على العلمي داخل الجامعة الجزائرية.

فإصرار الوزارة على إنجاح التعليم عن بعد، يبدو أنه مرتبط بإكراهات الجائحة، التي فرضت على كل دول العالم الانخراط في بعض التدابير المتشابهة، حتى وإن كانت لا تعكس خصوصية أيّ دولة وواقعها وإمكانياتها، وهذا يحيلنا إلى إن جائحة كورنا هي أحد إفرازات العولمة التي من خصائصها تعميم المشاكل والأزمات على كل العالم، وخوصصة الحلول عن طريق إخضاع الصغار للعبة الكبار، وفي هذا الصدد يقول الباحث عثمان العكشمي: "وَقع كورونا على البشرية برمّتها، فضلاً عن العنف الذي يُمارسه علينا الراهن باستمرار، فإنه يؤسس لاستمرارية هذا العنف الراهن" (العكشمي، 2020)؛ أي خلق حالة من الارتباك، داخل كل الدول وكل القطاعات، وفرض حلول استعجالية دون مراعاة الواقع، وهنا يتحول الفيروس إلى مشكلة اقتصادية، أو سياسية، أو تعليمية، بغض النظر عن كونه مشكلة صحّية عصفت بالعالم ككل، فمثلا في الجزائر التي استطاعت أن تحافظ على توازناتها الاقتصادية، وتحكما نوعا ما في تفشي الوباء، إلا أنها لم تستطع التحكم في آثار الجائحة على مستوى التعليم، الذي يعاني من مشاكل كبيرة وحالة من عدم

الاستقرار، وقد زادت عليها الجائحة مشكلة العصرنة ومدى قدرة الجامعة الجزائرية على توطين التكنولوجيا واقحامها في العملية التعليمية، والاعتماد عليها كبديل في حالة الأزمة الصحية وما فرضته من عزل صحّي والدخول في حالة إغلاق كلّي للمرافق التعليمية والتربية، فلا يختلف اثنان كون هذه الجائحة عرّت تلك الفجوة المعلوماتية التي تعاني منها المدرسة الجزائرية (الشريف، 2020).

من خلال هذا وبناء على تطورات الجائحة، وعدم القدرة على العودة إلى التعليم الحضوري، خاصة بعد ارتفاع حالات الإصابة في فصل الصيف، واستمرار حالة الإغلاق التام للتعليم، حاول الوزارة إنقاذ الموسم الجامعي عن طريق الاكتفاء بما قُدّم من دروس عن بعد، وإجراء الامتحانات في بداية الموسم الجديد، الآن الواقع أثبت عجز وفشل الاستراتيجية، ولذلك قرّرت الوزارة الاكتفاء بالدروس التي قُدّمت قبل تفشي الجائحة، وتنظيم حصص مراجعة بسيطة وتقيم الطلبة على أساس البحوث التي خُصص مكاتب لاستقبالها بشكل حضوري، وهذا ما يشير إلى فشل التعليم عن بعد في الجزائر، بسبب غياب خطّة أو مخطط، وعدم توفّر الإمكانيات، سواء لدى الطلبة والأساتذة، كون التعليم عن بعد يعتمد على تقنيات حديثة وتدفق عالي للإنترنت، وقرارات تتخذ بشكل أفقي من أعلى ى هرم السلطة وليس بشكل عمودي من خلال القواعد، ممثلة في الجامعات، والطلبة، والأساتذة بصفتهم ممارسين ميدانيين ولديهم القدرة على التفريق بين ما هو عملي وبين مها شكلي، وهذا ما مميز التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية، حيث غابت عنه المقاربة الميدانية وخضع لترتيبات فوقية أفرغته من محتواه.

خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية، يمكن القول إن جائحة كورنا، لم تكن مشكلة أو أزمة صحّية ضربت العالم شرقا وغربا، بقدر ما كانت إحدى إفرازات العولمة، واستراتيجية الحروب الجديدة بين القوى الكبرى، الباحثة عن الهيمنة والسيطرة والنفوذ، خاصة وأن الوباء ليس بقاتل بشكل مخيف، فعدد ضحاياه لم يصل الى ما تقتله بعض الأمراض الأخرى، والكوارث الطبيعية وسوء التغذية والمجاعة سنويا في العالم، لكنه أبان على أنه أزمة اقتصادية وسياسية، من خلال إرباك العالم، وتعليق الحركة التجارية وفرض حالة من الإغلاق التام، إضافة إلى إعادة إحياء تحالفات دولية قديمة والحكم بفشل أخرى، كما أنه أدى إلى إرباك حتى تلك الدول الصغيرة، عن طريق خلخلة عملية التعليم، وهذا ما عاشته الجزائر، التي عرفت حالة من تعطيل التدريس الحضوري سواء في المدارس أو الجامعات، وهي لا تمتلك أيّ حلول للتعامل مع الوضع، ولذلك سارعت إلى تبني التعليم عن بعد، الذي سرعان ما أثبت فشله، بسبب سرعة القرار، وعدم مراعاة الواقع، وفي نفس الوقت عدم استجابة مكونات العملية التعليمية من أساتذة وطلبة، خاصة بعد أن أصبح التعليم عن بعد منحصرا في تحميل الدروس من المنصات الإلكترونية، وانقطاع التواصل بين الأساتذة والطلبة بأيّ شكل من الأشكال طيلة سبعة أشهر، أي أن التعليم عن بعد كان خيار نخبة حاكمة، وليس خيار جامعة تسعى إلى مواكبة التطورات العلمية والمعلوماتية في العالم.

قائمة المراجع:

- ألريش بيك. (2016). مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود، ترجمة علا عادل وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر.
- آندرو كوروبوك. (2019). الحرب الهجينة المقاربة غير المباشرة المتكيفة لتغير النظام. تركيا : مركز نورس للدراسات.
- بن زينب الشريف. (2020). التعليم في زمن كورونا . تم الاسترداد من **https://www.lagora-univ-oran2.org/ar.**
- بوخديوي صبيحة وبن عاشور الزهرة. (جويلية, 2020). سياسة التعليم عن بعد في الجزائر في ظل جائحة كوفيد 19 دراسة تحليلية لتعليمات والقرارات الصادرة عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية (59-75). مجلة مدارات سياسية، المجلد الثالث.
- بيار بورديو وجان كلود باسرون. (بلا تاريخ). إعادة الانتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم . لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية.
- بيتر سينجر. (2010). الحرب عن بعد دور التكنولوجيا في الحرب . الامارات العربية المتحدة : مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- جان بودريادروادغار موران. (2005). عنف العالم . سوريا : دار الحوار للنشر والتوزيع.
- الجيلالي كرايس ومحمد بلغازي. (2017). ظاهرة الدروس الخصوصية في الجزائر عودة الى جذور الازمة (245-253). مجلة المعيار(العدد17).
- جيمس جورتي وروبرت بلستغراف. (1985). النظريات المتضاربةفي العلاقات الدولية . الكويت : كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع.
- خايامي سافيدرا. (2020). التعليم في زمن فيروس كورونا: التحديات والفرص . تم الاسترداد من **https://blogs.worldbank.org/ar/education**
- داريوش شايغان. (1993). اوهام الهوية . لبنان : دار الساقي.
- دفيد ايك. (2017). اليات المؤامرة الكونية لتركيع شعوب العالم . سوريا : دار الكتاب العربي.
- زيجمونت باومن. (2016). الاخلاق في عصر الحداثة السائلة . دولة الامارات : هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.
- السعيد يقطين. (2020). كورونا التعليم عن بعد. تم الاسترداد من**https://www.alquds.co.uk/**
- عبد الحي أحمد رزمي. (2010). التعليم عن بعد في الوطن العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين. مصر: مكتبة الانجيلو.
- عبد المعطى محمد عساف. (1987). مقدمةإلى علم السياسة. الاردن: دار مجدلاوي للطباعة والنشر والتوزيع.
- عثمان العكشمي. (14 08, 2020). سوسيولوجيا المستعجلات السوسيولوجيا في قبضة كورونا. تم الاسترداد من **https://www.alquds.co.uk.**
- غراهام اليسون. (2018). حتمية الحربب بين القوى الصاعدة المهيمنة: هل تنجح الصين وامريكا في الافلات من فخ ثدوسيديدز . لبنان: دار الكتب العربية.
- فليب ريترو. (2018). سوسيولوجيا التواصل السياسي. لبنان: دار الفرابي.
- كلود بدوبار. (2008). أزمة الهويات تفسير تحول. لبنان: المكتبة الشرقية.

- محمد سيد أحمد. (2015). الاعلام وتجريف العقل الجمعي في مرحلة التحول الديمقراطي. لبنان: أطلس للنشر والتوزيع.
- معزوزي هشام وجلة مريم. (دون تاريخ). واقع التعليم عن بعد عبر الانترنت في ظل جائحة كورونا دراسة ميدانية على عينة من الطلبة بالجامعة الجزائرية (95–76). مجلة مدارات سياسية.
- هيئة المكتب. (2020). الاتحاد الافريقي. تم الاسترداد من اللجنة الفنية المتخصصة للتعليم والعلم والتكنولوجيا، استجابة التعليم لفيروس كورونا. **covid19**